العشرينيات والعشرينيات

للدكتور ناصر الدين الأسد

- ١ -

تجري الالسنة والاقلام من حين الى حين بتعبيرات والفاظ لا تلبث ان تشيعَ من خلال الصحف والاذاعات والتاليف شيوعا يستوقف الحريصين على سلامة اللغة ونقائها ، فاذا هم يُطيلون البحث فيها والطواف حولها ليتحققوا من صحتها،ومن انها جارية مجرى كلام العرب في الاستعمال،او في القياس،او فيهما معا . وما اكثرَ ما صَدَرَ من كتب في القديم وفي الحديث بَناها مؤلفوها على تَتَبُّع هذه التعبيرات والألفاظ،وبيان ما فيها من خطأ،والتنبيه على الصحيح الذي يجب استعماله مكانها .

وهذا بابٌ من العلم ظاهِرُه اليُسرُ والاغراء بالدخول منه ، وباطِنُه محفوف بالمزالق والمكاره ، اذ لا بُدَّ للمتوغّل فيه من ان يكون محيطاً بكلام العرب او باكثره ، بصيرًا باساليبهم ، عالِمًا بشعرهم ونثرهم على مر العصور وتَعدُّد البيئات ، حافظًا ، ذاكرًا ، قادرًا على الاستشهاد وضرب المثل والإدلاء بالحجّة . واين مَن يَدَّعي لنفسه كلَّ هذا او بعضَه ؟

ومن اجل ذلك كَثُرَت الكتب التي أَلَّفها اصحابها للردّ على مؤلفي الكتب السابقة ، وبيان ما وقعوا فيه من تَسَرُّع الى التخطئة ، وتوضيح وجه الصواب فيما ظَنّوه وهْمًا او مخالفا لكلام العرب .

وكلا الفريقين من العلماء لا يُنتَقصُ من علم احدهم انه اخطأ في اجتهاده ، ولا يَعيبُه انه غاب عنه امرٌ عرفه غيره ؛ ولهم جميعا الاجر والثواب ان شاء الله .

وما نَبَّهْتُ اطلب هذا الضرب من الثواب ، واربو أجْر الاجتهاد ، مُلقيًا بدلوي بين الدلاء في الفاظٍ شاعت وراى غيري انها خطأ ، وكنتُ من الذين راوا صوابها ، ونَشَرْتُ بعض ذلك في مجلّة مجمع اللغة العربية بالقاهرة (١) .

وأُحِبُّ الآن ان استزيد من الخير ، فأواصل في مجلة مجمعنا الناشىء ما كنتُ بدأتُه في مجلّة مجمعنا العريق .

— ٢ —

وكان الذي قادني الى هذا الحديث مقالٌ نَشَرَتْه صحيفة يوميّة (٢) ، في مصرنا العربية ، الحبيبة لقلب كلِّ عربي ، كَتَبَه عالِمٌ جليل ، عضوٌ في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، معروف بالرويّة والتثبُّت ، طالَما أنِسْنا بحديثه وأفَدْنا منه . وتناولَ في مقاله كلمتين نقتصر هنا على الثانية منهما ، ونبدأ بنقل ما كَتَبَه عنها بحروفه ، قال :

« ونَمَّت كلمة ثانية يستعملها الناس في عصرنا على انها صواب ، وهي عريقة في الخطأ ، وهي كلمة : العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، وما الى ذلك من سائر العقود . وَوَجْهُ الخطأ في هذا الاستعمال أن هذه الكلمات جموعٌ لعشرينة وثلاثينة واربعينة ، وليست هذه الكلمات في متن اللغة ، اذ كانت لا معنى لها .

والصواب في الاستعمال ان يقول القائل : هذا حَدَثَ في العشرينيّات والثلاثينيّات والأربعينيات ، بمعنى انه حدث في السنوات المنسوبة الى العشرين والثلاثين والاربعين وما اليها . فالكلمة يجب أن تكون مستعمَلَةً على طريق ياء النسبة ، وحَذْفُ الياء هذه خطأ ، عريق في باب الخطأ الذي يكاد يهبط الى منزلة الخطيئة ، لأن الفصحى من شعائر الاسلام ، ولان الحرص على العربية حرص على لغة القرآن .. » .

---

(١) الاجزاء ٢٥ و ٢٧ و ٢٩ و ٣٤ .

(٢) جريدة الاخبار ، ١٩٧٧/٩/٢١ ، ص ٥ ، بعنوان « الصواب المظلوم » .

- ٣ -

ولحِرْصِنا جميعـا على العربية ، لغـة القرآن ، نستأذنُ الاستاذ الجليل في ان نأخـذ باطراف الأحاديث بيننـا ، ونستأنف مجالسَ كانـت لنـا ، عَرَفْناه فيها مُحِبًّا للحقيقة والحـقّ ، حَفِيًّا عنهما ، لا يضيق صدره بِرَدٍّ او سـؤال او تصحيح .

ولقد غاب عنّي فهـمُ ما قصد اليه من قولـه إنّ العشرينات،بغير يـاء النسبة،« عريقة في الخطـأ » وان « حذف الياء هذه خطـأ عريق في باب الخطـأ » ؛ فلم افهم معنى « العراقة » هنـا ! إنّ الذي يتبادر الى الذهـن من ظاهر اللفظة انها تعني القِـدَم في الاستعمال على هذه الصورة . فهل وَرَدت « العشرينـات » وأضرابُها في كـلام العرب قديما ؟ هل جاءت في شعرٍ او نثـرٍ من عصور الاحتجاج اللغوي ؟ إنْ كانـت في مثل هـذه العراقة فأولى ان نقول إنهـا « عريقة في الصواب » ! وان لم تكن قـد تَحَدَّرت الينا من تلـك العصور ، ففي ايّ عصر بـدا استعمالها ؟ فان كانت هـذه اللفظةُ لم تَجْـرِ في الاستعمال الاّ في المـائة الاخيرة او قبلهـا بقليل ، فليس لنا ان نقول عنها إنهـا « عريقة » ، لا في خطـأ ولا فـي صواب .

وان كان المقصـودُ من العراقة في الخطأ انهـا مخالِفَةٌ لطريقة العرب في بنـاء الكلمة وفي جمعها ، وليس في استعمال هـذا الجمع بعينه قديما ، فذلـك يقودُنا الى مسالك اخرى مـن الحديث .

فالعشرينات والثلاثينـات والاربعينات ليست بالضرورة « جموعـا لعشرينة وثلاثينة واربعينـة » التي هي ليست « فـي » متن اللغة ، اذ كانت لا معنـى لها » .

والجمع الذي ينتهي بالألف والتاء ، والذي يُسَمُّونه جمع مؤنث سالما ، ليس دائما جمعـا لمؤنث ، اذ كثيرًا مـا جُمِعت عليه الفاظٌ لمذكَّـرٍ غير عاقل ، اذا لـم يكن لهذه الالفاظ جمـعُ تكسير ؛ فالفاظٌ مِثلُ : حَمَّام ،

وخَزّان ، وسِجِلّ ، وقرار ، ومُسَوِّغ ، تُجْمَع على : حُمّامات، وخَزّانات ، وسِجِلّات، وقرارات، ومُسَوِّغات ؛ وكلُّها في مفردها تدلّ على مذكّر غير عاقل . بل استعملوه ايضا في القديم والحديث لجمع الجمع ، للمذكر العاقل وغير العاقل ؛ ففي العربية ، رجالٌ ورجالات ، وجِمالٌ وجِمالات ، وبيوتٌ وبيوتات ، وبُيوعٌ وبيوعات ، واهرامٌ واهرامات . ومفردها مذكّر .

ثم اذا كنّا قد حَكمنا بأن « العشرينة والثلاثينة ليست في متن اللغة » فاننا كذلك لا بُدَّ حاكمون بأن "العشرينية والثلاثينية والاربعينية" ليست كذلك في متن اللغة على وجه اليقين ، ولم يَجْرِ بها لسانُ أحدٍ من العرب في القديم . ونحنُ نَعْلم أن مُجْمعنا في القاهرة قد بَحَثَ هذه الالفاظ وجموعها،وذَهَبَ الى ما ذهبَ اليه الاستاذ الجليل ، وعدَّ « العشرينات » واضرابها خطأ ، و « العشرينيات » واضرابها هي الصواب (١) .

ثم ان هذه « الياء » المُقْحَمة التي قيل إنها للنسبة ، مشكلة في التَصوُّر والفَهم معا ؛ فما أظنّ احدًا مِمَّن يَستعمل هذه الجموع يَصدُر عن تَصوُّر النسبة الى مفرداتها ؛ وما اظنُّ احدًا ممن يسمعها او يقراها يستقرُّ في فهمه معنى هذه النسبة ، وانما يريد القائل ان يدلّ دلالة عامّةً على حقبة زمنية تمتدُّ عشر سنوات ، تبدأ بعدد في صورة الجمع،وليس في حقيقته جمعا ، وتتسلسل بعده تسع سنوات تالية،بوَضْع عَدَدٍ قَبْلَه بَينَهُما واو العطف . هذه الدلالة العامة على حقبة زمنية معيّنة هي التي يَقصدها القائل حين يريد أن يتجنَّب تحديد سنة بعينها ، وهي التي يَفْهَمُها السامع ، ولا يدور في خَلَد احد منهما أن ينسب شيئا الى شيء .

---

(١) في الجلسة التاسعة من مؤتمر المجمع في الدورة التاسعة والثلاثين ، وفي الجلسة السادسة والعشرين من المجلس في الدورة نفسها ؛ وانظر بحث الاستاذ محمد شوقي امين،وبحث الاستاذ الشيخ عطية الصوالحي في كتاب « الالفاظ والاساليب » اصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ١٩٧٧ .

ماذا كان لا بُدَّ من استعمال أحد هذين الجمعين، فإنَّ تَرْك الياء أولى ، واستعمال العشرينات والثلاثينات والاربعينات ، أقرب الى ذوق العربية وادخل في أساليبها ، وهو ما شاع استعماله واستساغه العرف .

— ٤ —

ومع ذلك ، فقد اعْتَسَفْنا الطريق واصبحنا مُنْبَتّين ، حين تَرْجَمْنا ترجمةً حرفية ما استعملته اللغات الاجنبية من جموع هذه الالفاظ ، ثم دخلنا في تيه من الجدل في تخطئة هذه الترجمات وتصويبها ، ولم نَرْجِعْ في كلّ ذلك الى ما استعمله العرب منذ اقدم عصورهم للدلالة على هذه الالفاظ ، متوهّمين انها من المعاني العصرية المستحدَثة التي لم تَرِدْ في كلام العرب ، على حين انهم عَرفوها وادارُوها كثيرا في كلامهم منذ الجاهلية ؛ وهي لفظة العقد نفسه — بغير جمع — مقرونة بالالف واللام ، وقد تُجَرَّدُ منهما في الشعر بخاصة ، اذا دلّت القرينةُ على المعنى . فقالوا : العشرين ، والثلاثين ، والاربعين ، الى آخر العقود ، بدلا من العشرينات او العشرينيات واضرابهما . وبِحَسْبِنا شواهد معدودات نأنس اليها في هذا الحكم وتطمئن اليها نفوسنا :

قال سُحَيْم بن وَثيل الرِّياحيّ (جاهلي اسلامي) (١) :

وماذا يَدَّري الشعراءُ منّي وقد جاوَزْتُ راسَ الأربعينِ

اخو خمسينَ ، مجتمعًا أَشُدّي وَنَجَّذني مداورةُ الشؤونِ

فللأربعينَ راسٌ هو حَدُّها الأعلى ، ولها « ذَنَبٌ » هو حَدُّها الأدنى ، وهي تتدرَّج بينهما . فسُحَيْم يَذكر انه جاوز التاسعةَ والأربعين من عمره ، وهي راسُ الأربعين وحَدُّها الاعلى ، ثم وَضَّحَ ذلك توضيحا ما بعده من مزيد حين قال : « اخو خمسين » .

---

(١) البيتان من القصيدة الاولى في الاصمعيات، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام هارون.

ويقول دِعْبِل الخُزاعيّ (عبّاسي) (١) :

أنبِئْتِ بِنْ مَلامِكِ يا ظُعينا كفاكِ اللومَ مَرُّ الأربعينا

وهذا شبيه بقول سُحَيْم ؛ فالاربعون بكلّ سنواتها قد مَرَّت وانقضت، وصار شاعرنا « أخا خمسين » .

واشهَرُ بيت في هذا المضمار قول عوف بن مُحَلِّم الخزاعيّ (عبّاسي) (٢) :

إنَّ الثمانين ــ وَبُلِّغْتَها ــ قد احْوَجَتْ سمعي الى تَرْجُمانْ

ومن عَرَف طريقة العرب في البيان ادركَ ان الشاعر هنا لا يريد ثمانين سنة على وجه التحديد والتخصيص ، لا يتجاوزها ، ولكنّه أراد العقد بمجموع سنواته ، فهو في « الثمانين » بين ادنى سنواتها و « راسها » .

وقد ذكرنا ان هذه العقود قد تُجَرَّد من الألف واللام في الشعر بخاصة اذا دلّت القرينةُ على ذلك . ومِنْ اطرف ما نَسْتَشْهِد به على ذلك ، واعذَبِه ، وأنفَسِه ، قول المَلَّسيّ (٣) :

ولقد قالتْ لأتْرابٍ لها كأُلْهَا يَلْعَبْنَ في حَجْرَتِها

« خُذْنَ عنّي الظِلَّ ، لا يُفْزِعُني » ومُضَتْ تسعى الى قُبّتِها

بِنْتُ عَشْرٍ لم تُعانِقْ رَجُلاً صُوِّرَ البَدْرُ على صورَتِها

ولقد قَبَّلْتُ فاها قُبْلَةً كِدْتُ ألْقَى اللّهَ من لَذَّتِها

ولا أُحِبُّ لنفسي ولا لِغَيري ان نَعْتَسِف الطريق ونَقْتَحِم الكلام بغير دليل ، ولكنَّ الجوَّ يوحي بان الشاعر لم يقصد الى تحديد سنّ

---

(١) ديوانه : ١٤٨ ، تحقيق الدكتور محمد يوسف نجم ، دار الثقافة ، بيروت ١٩٦٢ م .

(٢) ترجمته في فوات الوفيات ، رقم : ٣٤٠ ، والبيت من شواهد النحو في اعراب الجمل .

(٣) من ابيات اطّلعتُ عليها في مخطوطة كتاب نوادر المجري ، في مكتبة استاذنا محمود محمد شاكر .

العاشرة ، وإنْ كـان ذلك قد جاز، ولا يزال جائزاعلى نُـدرة نادرة ، وانما اراد هـذه السنَّ التي تزدهر بـين العاشرة والتاسعة عشرة ، والتي يُطلقون على مـن كان فيها من الفتيات والفتيـان بالانجليزية « تِيْنْ ايجرز » ، ونحـار في اختيار كلمة عربية مقابلة لهـا .

— ٥ —

وبعـد ،

فمـن اراد طريقةَ العرب وما ساروا عليـه في كلامهم ، فأمامه هذا الشعر المُبـين ، ولْيَقُل : « حَدَثَ ذلك في العشريـن او الثلاثين او الأربعين من هذه المئـة ، او من هذا القرن » ، ولا يخافَـنَّ اللَّبْس ؛ فنحن لا نقول : حـَدَث ذلك في العشرين من هذا القـرن ، ونقصدُ سنة ١٩٢٠ ، وانما نُحَدِّدُهـا ونقول ، حدث ذلك في سنـة عشرين ، وليس فـي العشريـن .

ومن ارادَ المخالفـة عن استعمالهم الذي أَلِفُـوه ، وارادَ ان يُحْدِثَ كلامًا جديدا، فـلا بأس عليه ان يجمع لفـظ العقد فيقول : العشرينات والثلاثينـات . وقد وَرَد في كلام العـرب تثنية العقد :

« قال الأخفش ، اخبرني المبرّد قال : انشدني سليمان بن عبد اللـه بن طاهر لنفسه : « وقد مَضَتْ لـي عشرونان ثنتان » . . فقلت لـه : ايّها الامير ، هذا لَحْـنٌ لان إعراباً لا يَدْخُـل على إعراب » (١) .

وإنكارُ المُبَـرِّد لا ينصرف الى تثنية العقد، وانما انصرف الى وجود إعرابَين : فالـواوُ والنون للرفع في جمع المذكـر السالم، والالف والنون للرفع في المثنّى . ولو قال : لـي عشرينان ثنتان ، ما انكر المبـرِّد شيئا .

واذا جازت التثنيـة على هذا الوجه جاز الجمـع .

أمـا ما سوى ذلك ، كإضافة يـاء النسبة قَبْلَ الجمع ، فشيءٌ تنبـو عنه الاسماع ، وتمجُّـه الأذواق ، وليس ما يدعو اليه ، مَهْمـا يُزَيِّنه لنـا المزيّنون بتخريجاتهـم .

---

(١) المرزبانـي ، الموشـح ٣٥٧ ، المطبعة السلفية بمصر سنـة ١٣٤٣ هـ .